في وسطهم . اريد ان اصرخ : « انا فلسطيني . انا عربي مثلكم». منذ وقت ليس ببعيد كان ألمكم ألمي ايضا . لا اشعر به اليوم ، ولكنه لا يزال المي . لا يزال جزءا من تقليد تصريحي وكفاف رؤياي . كل ما تعلمته في الغرب ، كل فكرة اعتنقتها ، هو مجرد مستحضر تجميل اضيف الى تلك القفزة الأولى لنضوجي التي قمت بها هنا، معكم،وافهم كل شيء ، ولا استعمل غير حاسة فلسطينيتي الاصلية . افهم . افهم لماذا كان يقف الرجال والنساء والاولاد بذل في الصف خارج مستودع اغذية تابع للاونروا كل شهر ، ليتسلموا حصتهم من الغذاء ، في مخيم لاجئي برج البراجنة ، ولماذا القوا نظرات مختلسة الى بعضهم البعض ، واصواتهم ، كوجوههم ، مليئة باليأس الهادىء . وافهم لماذا ذهب الرجال بعشرات الألوف الى شبه الجزيرة العربية ليعملوا في حقول النفط مقابل اجور زهيدة ، والنوم في صناديق من الصفيح هي بيوت مصنوعة مقدما ، كل عشرة في صندوق ، فيما تركوا وراءهم اطفالا وزوجات ووالدين . وافهم لماذا الاطفال في غرف الصف في المدارس التي كنت اذهب اليها في بيروت ارتجفوا تحت ثيابهم في وسط الشتاء . وافهم لماذا كان الفلسطينيون ينقلون من مكان لآخر ، مدة اشهر ، في دائرة الاجانب في وزارة الداخلية لمجرد الحصول على تصريح للسفر خارج البلاد (واحيانا داخل البلاد) لزيارة قريب او السعي وراء وظيفة . وافهم لماذا نحن ، كفلسطينيين ، اختبرنا درجة لا يمكن تصورها من الارهاب خلال اسفارنا في الخارج كاشخاص عديمي الجنسية ، اذ نعبر الحدود بقطعة من الورق صورتنا ملصقة عليها ، تشهد على اننا لا ننتمي الى جنسية معترف بها ، ولا نتمتع بحمايات وقوانين اية حكومة او مؤسسات او دولة معترف بها . وافهم الوحشية المرضية لرجال الشرطة والمسؤولين والبيروقراطيين وعملاء المخابرات والعرب المتغربين المتعجرفين عندما يتفاعلون معنا ، نحن بائسي عالمهم . وافهم كم يصير صعبا ، عندما اكشف عن جنسيتي لشخص ما في الولايات المتحدة ، حيث اعيش ، ان اتقاسم انسانيتي مع الناس ، وان اثبت انني لست ، اننا لسنا جميعا ، قتلة سفاحين ارهابيين مكرسين لممارسة العنف في حياتنا اليومية . وافهم ان مصدر حاسة آخريتي في الولايات المتحدة لا تنبع مني بل من الآخرين الذين يفرضونها علي ، وان ليس ثمة شيء استطيع فعله لاتسلق الجدران العنصرية التي يشيدونها بيننا . وافهم الافكار عن اللاشيء في نفوس النساء في مدننا في العالم العربي اللواتي يغطين وجوههن بالشالات ويجررن الاولاد وراءهن . وافهم ايضا افكار الرجال العاطلين عن العمل الجالسين في المقاهي في الغيتوات ومخيمات اللاجئين في بيروت ، يحركون ببطء كؤوس الشاي ويمصون النرجيلات . وافهم ما يعنيه ان تكون شعبا محتلا او منفيا او مساء فهمه ولماذا لا اقول شيئا الى اميركي يعلو انفه الكلف ويسأل لماذا نقتل دائما النساء والاطفال . وافهم لماذا جلست الكثيرات من الامهات الفلسطينيات بجانب جثث ابنائهن او بناتهن الذين سقطوا في المعركة وضربن صدورهن ووجوههن بيأس وحزن . وافهم التشوشات التي تمتم بها والدي ، عن العودة ، فيما اضطجع يحتضر في غيتونا في بيروت . وافهم لماذا نفكر افكارنا . افهم كل هذا واكثر بكثير . والفرق الوحيد بيني وبينك هو ان ثمة عنصرا فكريا اساسيا لفهمي ، مما يجعل معرفتي اقل تماسكا من معرفتك . ولكني اعرف ان الصفحات في يوم من الايام ستنقلب ، وان الاوراق في يوم من الايام ستتساقط ، وان الخريف سيفسح الطريق للثلج النظيف .

□